



عيينين دامعتين طالتا سحب السماء .. وقلب مكلوم مكسور أمام قوانين البشر .. زفرت بحرقة وألم دفينين مادة بصرها إلى الأفق البعيد .. رب أنت من حفظ موسى ورده لأمه بعد أن ألقته في اليم خوفا من ظلم الطاغية .. رب احفظ أبنائي عينك التي لا تنام فإنك خير الحافظين .. رب إني لا أراهم ولا أعلم حالهم ..

ولكنك تراهم وتعلم بهم فاجعلهم يارب دواء لقلبي المكسور وإنني أستودعك إياهم فاحفظهم فإنه لا يعلم ألمي إلاك يا أرحم الراحمين.. أنزلت يديها ومسحت دمعات مسترسلات على خدتها وطافت بها ذكرياتها مع فلذات أكبادها.. طفلتي الصغيرة ذات الأعوام الأربع بشعرها البني المسترسل وخدتها النابضين بلون الورد وعينها المليئتان بالطهر والبراءة كيف غدا ثغرك الباسم يا حبيبتي؟!
هل لعبتي مع دميتك وماذا أسميتها؟!

كيف نمتi البارحة ومن حضنك وطبع قبلة النوم على جبينك الناعم وحكي لك حكاية النوم ولا مس أصابعك الصغيرة الرقيقة؟! هل لا زلت تغارين من أخيك الأصغر؟! أم شعرت بالحزن عليه لأنه غدا بلا أم مثلك فتقاسمتما الشعور بالألم وتعاهدتما بصمت وحزن أن تكونا حبيبين صادقين بريئين كما هي براءة عمركما ولا تسمحا للكبار أن يشوهها عهdkما يا حبيبي.. هل حضنت أخاك يا صغيرتي حين بحث عنی؟؟

وهل وعدتني أن ماما لن تتأخر لأنها لن تترك أطفالها أبدا كما عودتهم لأنها تحبهم؟؟
هل بكى أخاك كثيرا عند النوم لأنه لم يجد حضن أمه الذي تعود عليه لينام بدفء وعمق؟؟

ليتك تستطيعين إجابتني يا وردتي.. ليتك تستطيعين البوح لي بما يخالج رأسك الصغير من حزن وألم.. وتخبريني عن كل ما حُكِي لك عنـي لتنفسي عن غضبك وألمك.. هل أخبروك يا صغيرتي أنني لا أحبوك؟!
هل قالوا لك أن ماما لن تعود وتركوك مكسورة الفؤاد بين تصديق كلام الكبار وتصديق قلبك الطاهر بأن أمك تحبك ولن تتركك أبدا؟!

هل بقيت حائرة يا مهجة روحي لا تعرفين من تصدقني؟! هل ترقرفت دمعتك على جفنيك لا تستطيع الرجوع ولا النزول تعلن
ألما زلزل كيانك يحكي ظلم الكبار وقسوتهم؟!

هل ضاعت نداءات أخيك في الليل بحثا عنى فلتقتها الأبواب والجدران لأن قساة البشر لا يفهون لغة القلوب وطهر عيون
الأطفال!! كيف أنتما يا طفلي البريئين؟! كيف أنتما وبأي حال تعيشان؟!

وأسفلت عينيها مرة أخرى ودموعها الحرى تأبى التوقف ولا تجد ملذا لها إلا أن ترفع يديها مرة أخرى تناجي ربه بصمت
أن يربط على قلبها كما ربط على قلب أم موسى.. وتحملها الذكريات مرة أخرى إلى منزلها قبل فراق أبنائها وتستذكر لحظة
الفرار بكل تفاصيلها وألمها وقهرها وظلمها وكأنها تعيشها اللحظة وتنتظر إلى ابنتها وهي تتثبت بعياءتها وتصبح بألم وخوف
وكان عالمها الصغير توقف تلك اللحظة ليسيطر نهاية مأساة وتصبح الصغيرة (ماما لا تتركيني أنا أحبك) وتتمسك بها بقوة
تركت أثرا في ذراع أمها ووجهها وهي تبكي وتصبح حتى لا تبتعد عنها أمها..

وتختلط صيحاتها بدموع أخيها والذي لم يبلغ من الأعوام ثلاثة وهو يحاول ألا يترك مجالا لأحد ليبعده عن ذلك الصدر
الحنون الذي ينام عليه كل لحظة والذي يؤيه عند خوفه عند حزنه عند جوعه عند ظمائه..

وتعمل الأم بطفيها تعلق الغريق بالقصة يذرفون الدموع تباعا وتنوالى توسلاتهم ورجاءاتهم للبشر ألا تفرقونا وتقطعوا
أوصالنا.. ويدوي صوت كالرعد في الأرجاء وكأنه قادم من غياهـ الغـابـاتـ لا يـبـصـرـ أيـ مشـهـدـ إـنسـانـيـ أـمـامـهـ لـيـنـطـقـ بـكـلـ ماـ
أـوـتـيـ مـنـ صـلـفـ وـقـسـوـةـ وـعـتـوـ ((أـنـتـ طـالـقـ)) وـأـبـنـأـكـ لـنـ يـكـوـنـاـ لـكـ أـبـدـاـ وـلـنـ تـكـتـلـ عـيـنـاـكـ بـتـرـبـيـتـهـمـ أـوـ الجـلوـسـ إـلـيـهـمـ فـتـعـالـيـ
الـصـيـحـاتـ وـتـرـفـعـ الـزـفـرـاتـ وـالـشـهـقـاتـ مـنـ الـأـمـ

وصغارها.. فقد نزل الحكم البشري عليهم.. ووأد أحلاما برقية لا زالت في مهدها.. وحط قلوبـا صـغـيرـةـ رسـمـتـ آـمـالـاـ كـبـيرـةـ
في حـيـاةـ لـمـ تـشـرـقـ لـهـمـ شـمـسـهاـ سـوـىـ يـوـمـيـنـ..ـ لـاـ لـشـيءـ!!ـ إـلـاـ أـنـهـ كـانـواـ ثـمـرـةـ زـوـاجـ فـاشـلـ..ـ تـجـفـ دـمـعـاتـهاـ مـنـ جـدـيدـ وـتـرـفـ يـدـيـهاـ
بـالـحـاحـ عـلـىـ رـبـهاـ أـنـ يـجـمـعـهـاـ بـطـفـلـيـهاـ الصـغـيرـينـ..ـ

يارب إنهمـاـ بـرـيـئـانـ طـاهـرـانـ لـيـسـ لـهـمـاـ مـنـ أـمـرـهـمـاـ شـيـءـ فـلـاـ تـحـرـمـهـمـاـ مـنـيـ..ـ يـارـبـ إـنـهـمـاـ بـحـاجـتـيـ لـأـرـعـاهـمـاـ وـاتـعـاهـدـهـمـاـ لـيـكـبـرـاـ
صـالـحـيـنـ طـائـعـيـنـ بـعـيـدـيـنـ عـنـ تـرـهـاتـ عـتـةـ الـقـلـوبـ..ـ

يارب لا تؤاخذهما بما جنينا نحن الكبار فإنـهماـ بلاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ..ـ

يارب سخرـلـهـمـاـ مـنـ يـأـخـذـ بـأـيـدـيـهـمـاـ وـيـجـبـ كـسـرـ قـلـبـيـهـمـاـ فـإـنـيـ بلاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ..ـ

يارب يارب يارب وتمتد نداءاتها وتوسلاتها تقرع أبواب السماء ليلا ونهارا.. وهي موقنة أنها لا بد ستفتح وستنزل الرحيمـاتـ
عليـهاـ وـعـلـىـ فـلـذـاتـ كـبـدـهاـ المـمزـقةـ..ـ

أما ذلك العُلُـلـ الذي لم يرحمـ دـمـعـاتـ أـطـفـالـهـ وـنـدـاءـاتـهـ..ـ فـلـمـ يـخـطـرـ فيـ ذـهـنـهـ مجردـ خـاطـرـ أـنـ يـفـكـرـ بـطـفـلـيـنـ بـرـيـئـيـنـ طـاهـرـيـنـ
فيـحـمـلـهـمـاـ ذـنـبـ قـسـوـتـهـ وـصـلـفـهـ وـعـنـادـهـ وـيـجـعـلـهـمـاـ أـدـاءـ رـخـيـصـةـ لـتـهـيـدـ وـالـوعـيـدـ فـيـقـطـ حـبـالـ الـوـدـ وـيـنـسـيـ الـفـضـلـ وـيـجـرـ بـقـايـاـ
كـبـرـيـاءـ فـيـ نـفـسـهـاـ المـقـهـورـةـ لـيـرـضـيـ غـرـورـ رـجـولـتـهـ المـزـيقـةـ مـعـتـقـداـ أـنـهـ فـعـلـ كـلـ مـاـ يـجـبـ لـرـعـاـيـةـ أـطـفـالـهـ حـيـنـ حـرـمـهـاـ الـحـضـنـ
الـدـافـعـ وـالـوـجـهـ الضـاحـكـ وـالـلـمـسـةـ الـحـانـيـةـ..ـ حـيـنـ حـرـمـهـاـ أـمـهـمـاـ وـهـوـ بـذـلـكـ إـنـمـاـ يـثـأـرـ لـنـفـسـهـ وـلـاـ يـلـقـيـ بـالـأـطـفـالـ وـحـالـهـمـ.

لم تـشـأـ أـنـ تـغـرـقـ فـيـ بـحـرـ آـلـمـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ فـنـفـضـتـ عـنـ نـفـسـهـاـ الـأـلـمـ وـجـفـفـتـ دـمـوعـهـاـ وـأـوـصـدـتـ أـبـوـابـ قـلـبـهاـ المـكـسـورـ
وـفـتـحـتـ نـافـذـتـهـاـ لـتـسـمـحـ لـأـشـعـةـ الشـمـسـ الـتـيـ تـسـتـأـذـنـ فـيـ الدـخـولـ إـلـىـ غـرـفـتـهـاـ لـتـسـتـقـبـلـ يـوـمـاـ جـدـيدـاـ مـشـرـقاـ بـأـمـلـ كـبـيرـ تـنـتـظـرـهـ مـنـ
رـبـهـاـ..ـ

مـلـاحـظـةـ هـذـاـ الـمـشـهـدـ يـتـكـرـرـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ بـيـوـتـ الـمـطـلـقـيـنـ يـنـادـيـ العـقـلـاءـ وـذـوـيـ الـقـلـوبـ وـأـصـحـابـ إـنـسـانـيـةـ (ـرـحـمةـ بـأـطـفـالـ)
الـمـطـلـقـيـنـ)ـ فـلـاـ ذـنـبـ لـهـمـ.

المصادر: